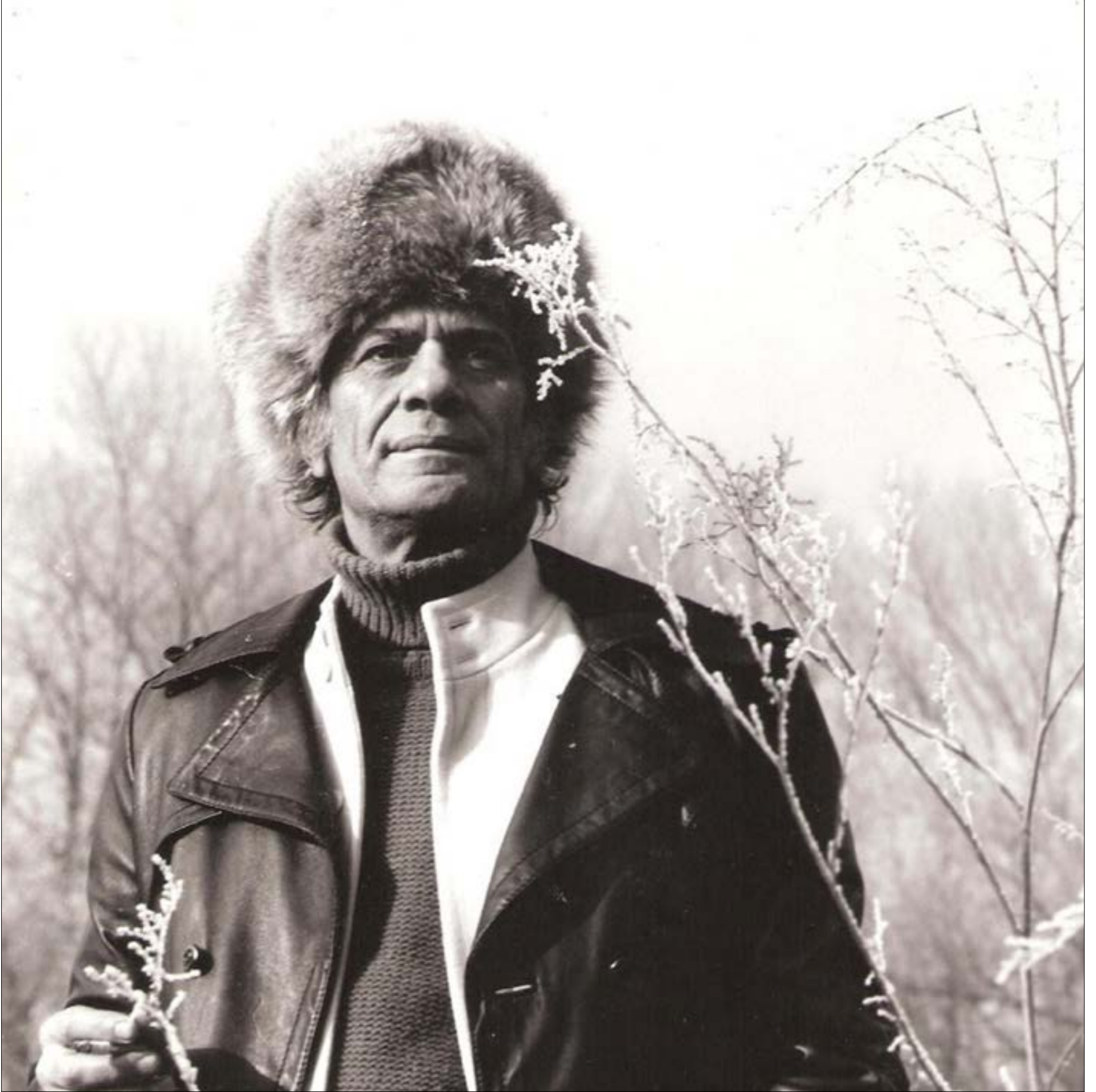


كلمات

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

السبت 26 كانون الثاني 2019 العدد 3672



معين بسيسو سيزيف، الفلاسطيني

وينكشون مزيلة الصمت بمناقيرهم وبيتلعون أقراص منع الكتابة». وسيقول محمود درويش الذي عاش حصار بيروت معه «إنه شاعر مليء بالمظاهرة والشوارع، مزدحم بهتاف متدفق، فكيف تلجم شاعراً يؤمن حتى التدين بأن القصيدة قوة حركة، قوة حزب، قوة قادرة على التغيير الفوري؟». لا تكفي صفة واحدة في رسم صورة هذا الشاعر التحريضي، فهو أيضاً، سيزيف آخر، يحمل صخرته الفلسطينية إلى القمة مثل لعنة أبدية، وهو الكنعاني المنفي بين العواصم الذي هتف «خذي جسدي كيساً من الرمل»، وهو الذي استعاد «ماساة غيفارا» و«ثورة الزنج»، وغضب مايكوفسكي، مؤمناً بأن «الأشجار تموت واقفة». بهذه النبرة العالية شتد فلسطين بحجارة اللغة، وورد أكثر. الآن، في ذكراه الخامسة والثلاثين، يستيقظ معين بسيسو من منامه، ليستكمل نشيده الطويل غير عابئ بالهزائم والانكسارات، فلفلسطين اسم واحد، ونشيد واحد لا يمكن تزويره «أنا إن سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح». مات معين بسيسو في لندن إثر نوبة قلبية الممت به في غرفة في فندق، وذفن في القاهرة، بعدما رفضت سلطة الاحتلال الإسرائيلي دفنه في غزة.

خليف صويلح

هذا عوليس فلسطيني آخر، ودون كيشوتي ثائر، وشيوعي في الصميم. لم تخطى بوصلته مرة واحدة، الطريق إلى فلسطين. كان معين بسيسو (1926 - 1984) يكتب قصيدته كمن يضع أصبعه على الزناد لحراسة البلاد من الغزاة. لن نستغرب إذاً، أن يكون عنوان ديوانه الأول «المعركة» (1952). ذلك أن المقاومة كانت في صلب تجربته الشعرية، إذ لا مسافة بين الحبر والدم. لكن هذا اليقين سيهتز إثر اجتياح الدبابات الإسرائيلية لبيروت التي سيغادرها منكسراً في سفينة إلى اليونان، مخلفاً قصيدته «لن تدخلوا بيروت» في عراء الجحيم. هكذا بدت إيثاكا الفلسطينية تبعد عن عينيه، مستبدلاً المتاريس بالخذلان. وإذا بالقصيدة تجانب الصواب، القصيدة التي لم يشك يوماً بأنها وفود المقاومة والعصيان، فكتب ساخطاً: «إن معظم ديوك الصفحات الثقافية انقلبوا عند العدوان على لبنان إلى دجاجات تبيض في الخوذات الفولاذية للاحتلال الإسرائيلي،